جدلية الحياة والموت في قصائد قيس لفتة مراد

م.د. مؤيد محيسن راضي

جامعة سومر/ كلية التربية الأساسية/ قسم اللغة العربية

moaidmohasen@gmail.com

المُلّخص:

يتناول هذا البحث جدلية الحياة والموت في قصائد قيس لفتة مراد، إذ تحفل قصائده بهذه الثنائية – الحياة والموت – التي توحي إلى دلالات وإيحاءات وظلالات متعددة، وتجسد واقع الشاعر، وتجربته الشعرية التي هي انعكاس لحالته النفسية والاجتماعية والأيديولوجية، وما لهذه الثنائية من تعبير للشعور الغريزي بالخوف من الموت، وبالتالي فإنَّ هذا التعبير ما هو إلا رثاءٌ لذاته، إذ شكلت هذه الجدلية ثيمة أساسية في شعر قيس لفتة، لم تشغل تفكيره فحسب، بل تفكير الإنسان منذُ القِدم، فهو لم يتوقف بالتفكير بهذه القضية، بل تعدى التفكير إلى ما بعد الموت؟

وهو السؤال الذي أثار الفلاسفة وكل الديانات السماوية، كذلك شكلت هذه الجدلية طابعاً مختلفاً عن الموضوعات الأخرى التي تناولها في شعره؛ ذلك أنها ارتبطت بكيفية الحياة التي عاشها منذُ صغره، التي أخذ منها موقفاً معيناً. وقد استعان الباحث بالمنهج التحليلي الوصفي.

الكلمات المفتاحية: (الحياة، الموت، جدلية، ثنائية، بواعث).

The dialectics of life and death in poems Qais Lafta Murad

Moayad Mohasen Radhi

Sumer University/ College of Basic Education/ Department of Arabic Language

Abstract:

This research dealt with the novelty of life and death in the poems of Qais by Khamsa Murad, as his story is full of this duality – life and death –

which contains multiple connotations and shades, and embodies the true poet and his poetic experience, which is a reflection of his psychological, social and ideological state. This duality is an expression of the instinctive feeling of fear of Death, and therefore this expression is nothing but a pity for itself, as this dialectic formed a Kuwaiti theme in the poetry of Qais Lifta, which did not occupy his thoughts. Rather, man has been thinking since ancient times. He did not stop thinking about this story, but rather went beyond thinking beyond death?

It is a question that raised philosophers and all divine religions. This dialectic also formed a different character from the other topics he addressed in his poetry. This is because it was linked to the way of life he lived since his childhood, from which he took a certain position. The researcher used the descriptive analytical method.

Keywords: (life, death, dialectic, dualism, motives).

المقدّمة:

شغلت قضية الحياة والموت اهتمام الإنسان منذ القدم، فوقف أمامها باحثاً عن سرها، مع يقينه بنهايته، الموت وهو الأمر الذي لابد منه، ففيه ينتهي ويرجع الى المستقر الأخير، وقد جبل البشر على حبِّ الحياة، والخوف من الموت، وسعى منذ بداياته الأولى إلى تأكيد ذاته الانسانية، فذهب يكتب اسمه وشيئاً من سيرته، على أحجار يضعها كشواخص فوق قبره، لعلها تنطق نيابةً عنه حين يسكته الزمن. وقد استثار هذا الموضوع – الحياة والموت – الكثير من التساؤلات والاشكاليات المستمرة باستمرار بقاء الإنسان، هذه التضادية التي بدأت خلقاً ذكرها الخالق عز وجل في كتابه

الحكيم: **((الذي خلق الموت والحياة))**، (سورة الملك، الآية:٢). وقد قدَّم الرسول محمد (ﷺ) تصوراً شاملاً عن الحياة والموت وما بعده، فكان يوصي المسلمين بالزهد الإيجابي في الحياة والابتعاد عن دار الغرور والجاه والتقرب من دار الخلود واستعداد الإنسان للموت، فقال في الأعراض عن الدنيا وزينتها:**(ما أنا والدنيا، إنما أنا كراكبٍ استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)** [١]، إذ ظلت هذه الثنائية تطارد الإنسان وجعلته يستدعي الكثير من التأويلات، والبحث عن الخلود في الدنيا حتى إذا ما أستسلم إلى فكرة الموت، بحث عن البقاء الأبدي ما بعد الموت.

إنَّ التأمل في قضية الحياة والموت ليس امراً حديثاً، فهي قضية جعلت الإنسان يقف مقهوراً مفزوعاً أمام هذا اللغز، لغز الحياة والموت الذي أورث الحيرة والقلق. فما إن ذُكرت الحياة إلا وكان الموت مقترناً بها، فهما وجهان مختلفان لحقيقة الوجود فكل كائن حي هو يمرُّ بهذه الثنائية (الحياة والموت)، ولكن الإنسان وحده يعرف ذلك. فالموت عنصر من الحياة وجزء مكون للوجود، فلولا هذه النهاية لما كان للحياة هذه القيمة التي نستشعرها، فالحياة في حقيقة الأمر، هي طريقنا إلى الموت، فكل لحظة نعيشها من حياتنا، إنّما هي خطوة تقربنا إلى نهايتنا؛ فالموت فيه قضاء على كل فعل يقوم به إنسان، وفيه نهاية لحياة ذلك الإنسان سواء أكانت تلك النهاية في صورة انتهاء القدرات ببلوغها مستوى النضج، أم كانت وقفاً للقدرات عند حد معين، ثم أن الموت مُشكل أيضاً بسبب كونه يقينا مجهولاً زمن وقوعه، وهو فوق ذلك مُشكل من ناحية المعرفة أيضاً، أي معرفتنا بحقيقة الموت، وإدراك سرّ الموت ولا يدرك الأحياء إلا الآثار الخارجية التي تظهر على الميت، وهذا قطعاً ليس إدراكا لحقيقة الموت في ذاته[٢]. فالإنسان لا يمكن أن يدرك مشكلة الموت مالم يكن مدركاً لنفسه المستقلة طالما أن قضية الموت هي قضية شخصية صرفة بالنسبة له.

لقد أخذت جدلية الحياة والموت، جانباً غير قليل من تفكير وتأمل الفلاسفة والمفكرين " فصدرت تأملات ميتا فيزيقية، ووجهات نظر فلسفية، واجتهادات فكرية شتى، عبر تاريخ الإنسان الفكري الطويل، وعولجت الكثير من القضايا، من ذلك:

الموت نقيض الحياة، الموت فساد الحياة، الموت مرادف للعدم بالنسبة للجسد"[٣] ، وهكذا كانت مجابهة الفناء القضية الأولى للإنسان، وهي قضية صراع مرّ طويل في تاريخ البشرية، اتخذ اشكالاً متعددة ومختلفة، على مرِّ الأجيال.

وقف الإنسان منذ نشأته من الحياة التي يعيشها، والآخرة التي سيصير إليها مواقف متمايزة في التصورات والأفكار، وكان لهذه الأفكار والتصورات انعكاساتها على أفكاره وحياته. فقد حاول أن يجد الوسائل والمسوغات، التي تكفل له الوجود، والتكاثر والعيش، فذهب إلى " أن المحافظة على وجوده، مقرونة بمعرفة المبادئ، التي تنظم الكون وتحولاته السنوية من تعاقب الفصول "[٤].

كان أول أشكال الصراع الذي قابله الإنسان القديم، وهو يشق طريقه في سلم الحضارة، هو الصراع مع الطبيعة، وهذا الصراع ظهر في الأعمال الشعرية المكتشفة في أدب الرافدين المتمثلة في قصصه، وملاحمه، مثل (كلكامش) وقصة الخلق البابلية، التي دارت في أساسها حول قضية الصراع بين الحياة والموت والخلود، وقصص الخلق والبعث، وكذلك الأعمال الشعرية الأخرى المتمثلة في ملاحم (أوغاريت)، وأشعار المصريين القدماء، ضمن الأدب الفرعوني " مثلت ملحمة كلكامش تمثيلاً بارعاً ومؤثراً ذلك الصراع الأزلي بين الحياة والموت، وبين محاولة الإنسان للتشبث بالوجود والسعي وراء الخلود، ودونت هذه الملحمة قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام، عبّرت هذه الملحمة عن حقيقة لم تنقض منذ ذلك الحين، مهما امتد عمر البشرية، وهي أن الإنسان ولد ليموت"[٥].

وما ملحمة كلكامش إلا انعكاس لهذا الصراع وهذه الثنائية المتضادة التي دفعته للبحث عن سر الخلود، إذ ركزت الملحمة على المبدأ الذي آمن به سكان وادي الرافدين القديم، إيماناً عميقاً،

وهو أن الموت نهاية كل إنسان، مهما بلغ من سلطة وقوة ومصيره أن يلاقي حتفه آجلاً أم عاجلاً، أما الخلود فقد كُتب للإلهة وحدهم، بعد أن جعلوا الفناء والموت نصيباً للبشر(٦). ولم يكن كلكامش ببعيد عن متناول الشاعر قيس لفتة وهو يخوض ويعيش غمار الحرب الناشبة بين الحياة والموت(٧):

لـو تعيـدُ اللحـود .. مـا فـي اللحـود   مـــا طوتـــه يـــدٌ لأمـــسِ البعيـــد

لأراحـــت جلجـــامش الـــوهم ممـــا   كـان يلقـى مـن وهـمِ نيـلِ الخلـود

كـــم وجـــوهٍ أحببتهـــا ذاتَ يـــومٍ   عريـــتِ مـــن لحومهـــا والجلـــود

زال عنهـــا رواؤهـــا .. لا اســـوداد   الهـدبِ بـاقٍ.. ولا احمـرار الخـدود

يُعرّف الموت بأنه " توقف معالم الحياة في الجسم الطبيعي، من حركة ونمو وحس وتنفس وقدرة على التكاثر والتغذي، وهو نهاية مرحلة تنفصل عندها ثنائية الوجود الإنساني (الجسد والروح) ليعود كل عنصر إلى عالمه الأزلي"(٨)، فالموت والنهاية المجهولة، بقيا دائما مصدر قلق وتوتر وجودي مستمر، فالحياة نزوة عابرة، والموت فجوة مفتوحة، ينتهي إليها كل طريق، ولابد من طمأنينة تكفي الإنسان الذي ينهشه القلق، ومصدر القلق هو الخوف، المتولد من حتمية الموت، الذي يسيطر على الحياة في النهاية، وما للإنسان في جوهره، إلا السعي وراء اليقين المطلق.

والموت في إحساس وحياة الشاعر، ليس هو فقط واقعة الموت، التي تحدث مرة واحدة في الحياة، بوصفها فصلا اخيرا ينتهي إليه المطاف، وإنما الانسان يعيش موتا مستمرا في كل لحظة، ويبقى دائما وجها لوجه أمام حتمية الموت، الذي هو ظاهرة من ظواهر الحياة (٩). فالحياة من حيث هي حقبة لها حد بداية، وحد نهاية، تصبح متناهية، وينفذ إليها العدم من هذا الحد (١٠)، ثم إننا ونحن نعيشها فعلا، نعيش في الوقت نفسه، اختصارا بطيئا، وموتا مستمرا، اذ نقوم في اثناء مسيرتنا هذه، بدفن اجزاء غالية من ماضينا وحاضرنا وشخصيتنا، ونتجه مسرعين إلى النهاية الأخيرة، وتقربنا إلى نهايتنا من ناحية أخرى، ثم إننا نواجه في مسرح الحياة التي نعيشها الموت بمظاهره المختلفة،

لنا ولغيرنا من كائنات أخرى، كلها تحدثنا عن الموت، وتذكرنا به [١١]، ومن هنا، من الشعور بالحياة، يأتي الاحساس العميق بالموت والشعور بتجاربه.

جاءت مشكلة الموت لترتبط بمفهوم الزمن والعالم المتغير، إذ أن كل ما يحيط بالإنسان هو متغير باستمرار، والإنسان وحده من أدرك خطورة هذه المشكلة وشعر بها، فأصبح أمام الموت عاجزاً مهزوما[١٢]. وهذا ما أدركه شاعرنا قيس لفتة مراد في هذه الثنائية، عبر إدراكه لِما في الوجود من تناقضات، وواجه هذا المصير وهذا التضاد عبر إبداعه الشعري الذي تجلى في كتاباته التي جعلها أداةً لخلق الرؤيا، لتعيد صياغة العالم بالحلم المستحيل، والدفق الإنساني الذي يمسك بالوجود الهارب في تشظي الكلمات وتقاطع الصور والأوضاع[١٣].

ولا يخفى أنَّ تعدد التجارب والمواقف واختلاف وجهات نظر الشعراء الى الحياة والموت، وطريقة التعبير عن هذا كله، لم يكن يحصل بمعزل عمّا يحيط بالشاعر من مؤثرات، لأنه ابن بيئته، فمن الطبيعي أن يصوّر مظاهر الحياة الاجتماعية وملامحها المختلفة، وطبيعة الحياة التي يعيشها هو، مثلما يصور ملامح الحياة الأخرى المتعددة التي تترك أثرها في المجتمع، فضلاً عن المنطلقات الفكرية التي يؤمن بها الشاعر وثقافته التي يعبر عنها بشعره، فكان لهذا كله أثره الواضح الذي ألقى بظلاله على الموقف من الحياة والموت وتعدد صوره. فالشاعر قيس لفتة مراد في تجربته الشعرية حاول التغلب على الموت الذي يتربص به ويلاحقه باستمرار، إذ وظّف هذا التضاد بين الحياة والموت عبر رؤيته الخاصة لهما، على الرغم من مصاعبه والحياة البائسة التي كان يعانيها. فنراه يقول[١٤]:

أنا وحرفي كلانا خلف صاحبه — كما يطاردني حرفي أطارده
وإنما الشاعر الفاني إلى أمدٍ — في حين تبقى مع الدنيا قصائده
يظل شعري أرث المقبلين كما — يظل قارئه بعدي وناقده

تتجلى هذه الثنائية في أغلب شعر قيس لفتة، وما هي إلا تعبير عن بواعث داخلية وخارجية، فهي رواسب متراكمة جاءت لتكشف عن تصوره للموت والحياة، وفي الوقت نفسه هو تصور لموقفه من العالم الذي يحيطه، فجاء شعره ليُعبّر عن جملة من التناقضات التي يحملها الوجود من حوله. فمن الدوافع أو البواعث التي جعلته يوظف هذه الثنائية في الكثير من قصائده:

أولا: الدوافع الذاتية أو الداخلية:

تمثل هذا الدوافع باعثاً قوياً لتوظيف هذه الثنائية والاحساس بها من حوله، من الدوافع الذاتية أو الداخلية، هو احساسه المستمر بالاغتراب بأشكاله المختلفة: الروحية، والاجتماعية، والمكانية[١٥]:

وقصـــائدي صـــدرٌ وعجـــزٌ إنّمـــا صـــدرٌ لأغنيـــةٍ وَعجـــزُ رثـــاءِ
مـا يملـكُ الشـعراءُ.. مـاذا يملـكُ الـ ـــشعراءُ غيـــرَ الـــريحِ والأصـــداءِ
لا يَسـمعُ المـوتى القصـيدَ ولا اعتنـى بالشـعرِ مـن حـولي مـن البؤسـاءِ
مـــا حـــنَّ للأحيـــاءِ والمـــوتى امـــرؤٌ مثلـــي ولا أعطـــى امـــرؤٌ كعطـــائي

فهو على الرغم من المرارة التي تجرعها نتيجة احساسه بالاغتراب، يحاول أن يعطي بعض الأمل في الحياة، لكن دون جدوى، إذ قسّم شعره بين الحياة التي أعطاه (أغنية)، وبين الموت الذي أعطاه (الرثاء)، فخطابه موّجه لفئتين سحيقتين (الموتى – البؤساء)، وكلاهما لا يؤثر فيهما، فما هو إلا صدى يرتد عليه، ورغم ذلك فهو يهتم لهما ويحن عليهما؛ لأنه يشعر ويحس بهما، بل عاش ظرفيهما. وحالته هذه وصراعه مع الحياة ليست وليدة لحظة، بل منذ إن كان طفلاً[١٦]:

فمنـــذ طفـــولتي والهـــمُّ تَربـــي كـــأني نـــذرُ أمـــي للهمـــومِ
لـــذاك فتحـــتُ كـــلَّ كـــوىً حيـــاتي لكـــلِّ العـــابراتِ علـــى تخـــومي

لأسـرقَ مـن شـعاعِ الفجـرِ ضـوءاً أعـوَّض فيـه عـن ليلـي البهـيمِ
فتَحـــتُ نوافـــذي لريـــاحِ ليلـــي أكانـت مـن سُـمومٍ أم مـن نسـيمِ

ترتبط قضية الحياة والموت بحالة الاغتراب بجوانبه كافة ارتباطا وثيقا " إذ اقلقت حالة التناهي ومحدودية الحياة بين البشر واشعرهم بهشاشة وجودهم لأن الموت فعل فيه قضاء على كل فعـــل، وثانيـــا أنـــه نهايـــة الحيـــاة " [١٧]، وبـــالرغم مـــن إدراك الشـــاعر لحقيقـــة الموت، إلا أنه لم يستسلم له بل دخل في صراع مع الحياة متحملا كثيرا من المصاعب والأهوال، ومن أشكال ذلك الصراع مع الحياة هو قضية الاغتراب؛ ذلك لأنها حالة ليست مرتبطة بمجتمع محدد، أو تنظيم معين، وإنما هي ظاهرة يمكن أن تُدرس في كل أنماط الحياة [١٨]، فهي صفة ملازمة للوجود الإنساني.

والاغتراب من أبرز بواعث احساس الشاعر قيس لفتة بالموت، ذلك " لأنه يأتي معاكسا للحضور التام المكتمل في وجود الإنسان ومعاكسا لمعايشته واقعة الحياة بصورة متوازنة من الناحية النفسية والعضوية (المادية) " [١٩]. فنجده يقول[٢٠]:

وحـدة المـرء فـي الحيـاة جحـيم لا الجحـيم الـذي حـوى النيرانـا
قـد يهـون الحرمـان مـن كـل شـيء غيـر حرمـان روحنـا مـن سـوانا
رعـبٌ هـذا الوجـود صـحوةُ وعـي تتنـاءى آنـا .. وتقـرب آنـا
منتهـى عجزنـا.. تـذكرنا مـن مـات منـا .. فـي صـحونا أو كرانـا
ثـم سـرعان مـا نعـود لننسـى فـي الليـالي اللـدات والخلانـا
وسنُنسـى كمـا نسـينا .. وتمحـو الـريح أسـماءنا .. وتمحـو خِطانـا

فالشاعر يُعبّر عن حالته النفسية المتأزمة بسبب الاغتراب والوحدة التي يعيشها، مما جعلته وأوصلته إلى حالة الجزع من حوادث الدهر، ويشرع بعد ذلك في وصف حالة العجز الذي يعيشه

عبر تذكره موتاه من الخلان، لكن سرعان ما ينساهم بمجرد اللهو، وهو الحال نفس أيضاً بالنسبة إليه سيُنسى فيما بعد بل ويُمحى ذكره وأثره، وهذا هو الواقع المرُّ والفجيع، فهو يبتغي من هذا الوصف أن يصور حقيقة الصراع الدائر بين الحياة والموت وما يعقبه.

وتعد الشيخوخة أيضاً من البواعث الداخلية، فهي صورة من صور الموت أو تجربة من تجارب الإنسان في الحياة، وهذه التجربة هي التي تتحقق عبر إحساس الإنسان بأنه يعيش مرحلة قوامها الضعف والإحداب وتوقف الإمكانية بسبب الإحساس بالشيخوخة، وهو ذاته الذي يضع الشيخوخة بهذا المفهوم تحت نطاق تجربة الموت، فالخوف من الشيخوخة إنما هو في جوهره تعبير عن إحساس الإنسان بأنه لم يستطع أن يعيش حياة منتجة، وبالتالي فإنها ردة فعل يقوم به ضميره ضد عملية التشويه الذاتي التي مارسها في نفسه. وإذا كانت هناك علاقة وثيقة بين (الخوف من الشيخوخة) و(الخوف من الموت)، فذلك لأن جزع المرء من الموت هو في حقيقته جزع من الفشل، فشل الإنسان في تحقيق ذاته وأداء رسالته وإنجاز حياته، وإذا كان هناك ثمة شيء أشد مرارة على النفس من الموت نفسه، فهو إحساس الإنسان بأنه سوف يموت دون أن يكون قد عاش حقا أو كم من أناس يموتون، دون أن يكونوا قد ولدوا أصلا[٢١]. فإحساس شاعرنا قيس لفتة مراد بالشيخوخة قد أخذ منه مأخذا كبيرا:

قبلَ غيمِ الخريفِ آتٍ إليكم ... قبلَ بردِ الأنداءِ عند الغروبِ

قبلَ عَود الخطَّاف وهو يَلُمُّ الـ ... ـعشَ في كلِّ جيئةٍ وذهوبِ

أنا في حاجةٍ إلى الدفءِ والراحةِ ... بعد الأسى وبردِ المشيبِ

إنَّ دربـاً عشرونَ عاماً مداهُ ... دونَ جدوى تُجنى لَشَرُّ الدروبِ

في الهزيعِ الأخيرِ من ليلِ عمري ... أدركُ الآن أيَّ حلمٍ رهيبِ

أيَّ دنيا قطعتُها دونَ معنى ... عبرَ دربٍ من الهمومِ كئيبِ

هــي ســتونَ يــا ابنتــي لونهــا مــا — زالَ فـــي جبهتـــي بلـــونِ شـــحوبي
طَعمُهـا المــرُّ لــم يــزلْ فــي لســاني — مثــلُ طعــمِ الــدُفلى.. وهــذا نصــيبي
مرهـــقٌ يـــا حبيبتـــي فاعـــذريني — حــينَ أعيــا عــن نزفــي المكتــوبِ[٢٢]

بما أنّ الشيخوخة هي إحساس بنهاية العمر وفوات الأوان، ارتبطت بالزمن فحين يمرّ العمر يمرّ الزمن معه، ومن هذا الشعور نظر الشاعر الى شيخوخته وشيبته وتقدمه في السن على إنه تجربة أليمة وقاسية يخيم عليها الجدب والاقفار، وتنذره بأنَّ الأوان قد فات وأنّ ما مضى هيهات أن يعود ويلتف إلى حاضره، فيجده ضعفا وانحلالا وتهدما، ويجده كذلك حاضرا محروما من المتعة والحياة، لهذا فقد انتبه قيس لفتة لنفسه فوجدها في أواخر أيامها ورأى بأنها بحاجة إلى الراحة والدفء والهدوء، بيّن ذلك عبر مخاطبته لابنته (إينانا) التي تركها هي وعائلته لأكثر من عشرين سنة، وهو الآن في الستين من عمره، الذي وصفه بالهزيع الأخير من العمر، لهذا ترسخت في ذهن الشاعر وفي أشعاره، بأنَّ الشيخوخة موت قبل الموت. فنراه يقول في قصيدة أخرى بصدد الكِبَر والشيخوخة[٢٣]:

ربيــعُ الأرضِ عــادَ لهــا .. ولكــنَّ — ربيعـــك حـــين يمضـــي لا يعـــود
وهــا هــو حاطــبُ الغابــاتِ يــدنو — فأنـــتَ لفأســـهِ حطـــبٌ جديـــد
إذا حَلَـتْ المواقـدُ فـي الشـتاءِ الــ — ـقريبِ فمــن سِــواك لهــا الوقــود
يقـولُ لـي الصـباحُ وقـد تهـادى: — ســـويعاتٍ نهـــارُك بـــي يجـــود
مجــرَّاتُ الســماءِ تمــوتُ تخبــو — ويطويهـــا الظـــلامُ أو الجليـــد
ويبقى الكونُ .. ويبقى ثَمَّ شيء — فـــراغ لا تحـــدِّدهُ الحـــدود
فقلــتُ لــذلك الصــبحِ المغــالي — رويـــدك أيهـــا الغـــرُّ الوليـــد
إذا أنــا مــتُّ مــات الكــون طــراً — فـــأني وحـــدي الكـــون الوحيـــد

يشبه الشاعر هنا فترة الشباب وقوة المرء بفصل الربيع الذي يتكرر على الأرض كل عام، لكن ربيع العمر ليس كربيع الأرض، فهو مرة واحدة لا يعود مجدداً، ويعطي صورة مخيفة للموت ولانتهاء الأجل، فهو يشبهه بالحاطب الماسك للفأس التي يقتطع بها الحطب، وما هذا الحطب إلا الإنسان نفسه، الذي تنهشه نار المواقد وتقضي عليه شيئا فشيئا، والشاعر هنا مدرك تماما أن نهاية كل ما في الكون هو الموت، مع بعض التبجيل لنفسه؛ إذ يرى أنَّ نهايته تعني نهاية الكون كله.

شـــيّعتُ أوطـــاري لِمَـــا لا رجعـــة ... فـــي ذمـــةِ الأيـــامِ يـــا أوطـــاري
مـــا فـــات فـــات.. ومـــا تبقـــى لـــم يعـــدّ ... يســـــوى لـــــديَّ تحمـــــلُ الأوزارِ
مـــا ترتجـــي الأشـــجارُ إنْ هرمـــتْ.. وقـــد ... قـــدمَ الخريـــفُ وحاطـــبُ الأشـــجارِ
أنـــا مـــن نقائضـــها فبـــردُ الـــثلجِ فـــي ... قممـــي.. ووقـــدُ النـــارِ فـــي أغـــواري[٢٤]

في قول الشاعر ألم وحسرة على الشباب ومباهجه، فهو يأسى على الشباب وما انقضى من عهده، وهنا يعطي صورة أخرى للمرء في النهايات الأخيرة من عمره، فهو كالأشجار الهرِمة ماذا ترتجي وقد جاءها فصل الخريف وحاطب الأشجار في الآن نفسه؟ وذكر أن الأيام تنفذه فتتبدل أحواله ويصبح الشيب الذي شبّهه بالثلج الذي يغطي قممه دالاً على التحول المستمر نحو الشيخوخة، لكن في دواخله واغواره نارٌ موقدة.

وحاصـد موسـم لـو كـان يـدري ... لأدرك أنـــه بعـــض الحصـــاد
يغيـــر زرعـــه والـــزرع مهمـــا ... تغيـــر لا يـــرد أذى الجـــراد
فمـــا أغنـــى ســـوادٌ عـــن بيـــاض ... ولا أغنـــى بيـــاضٌ عـــن ســـواد
كبرنـــا .. وأنتهـــى أربٌ .. فمـــا مـــن ... مـــرامٍ ظـــل فينـــا أو مـــراد[٢٥]

يحدد الشاعر ملامح صورة قاتمة للحياة والموت باللونين الأبيض والأسود، والحياة كالزرع الذي آنَ حصاده، فهو مهما تغير نوعه لا يستطيع مقاومة آفة الجراد الذي سيقضي عليه يوماً، فما

يغني سواد عن بياض، ولا بياض عن سواد، هي نهاية مطاف وانتهى كل شيء فلا رغبة ولا لوعة سوى انتظار! انتظار الزائر الذي يقضي على كل الرغبات والغرائز، ذلك الزائر المخيف المتوحش[٢٦]:

المـوتُ .. هـذا الزائـرُ المتـوحشُ المترصـدُ .. المتهـددُ .. المتوعـد
الراصـــدُ الأبـــوابَ كـــلَّ عشـــيةٍ فـي حـين نجهـلُ أي بـابٍ يقصـد
ينســلُ فـــي غفلاتنـــا .. وكأنـــه لخفائـــه عـــن حســـنا لا يوجـــد
لينـــال مـــا يختـــار مـــن أحبابنـــا وهـــو الرهيـــب الآخـــذ إذ يســـتفرد

فالشاعر يعطي صفات متعددة للموت، الزائر المتوحش، والمترصد الذي يترصد أبوابنا في كل عشية، والمتحيّن لغفلاتنا، ينسل من غير أن نشعر به ليستفرد وينال من أحبائنا، ومن ثم يفجعنا بهم.

يـــا آخِـــرَ الشـــوقِ أرجـــوهُ وأرهبـــهُ كمـــا يخـــافُ ويرجـــو راكـــبُ الخَطَـــرِ
أعيشُـــهُ وأنـــا منـــهُ علـــى وَجَـــلٍ مـــن أن أهـــوّنَ بـــه.. لكنَّـــهُ قـــدري
لم أقضِ من كلِّ ما فات الصِبا وطراً فكيـف أقضـي وفـي شـيخوختي وطـري
يـا آخـرَ الشـوقِ.. يـا حُلمـاً يعايشـني كالصوت واللونِ فـي سمعي وفـي بصري
أحسُّـــهُ فـــي شـــراييني وفـــي أوردتـــي دفئـــاً مـــع الحـــسِّ أو بـــرداً مـــع الخـــدَرِ
يـا آخِـرَ الشـوقِ .. يـأتي آخـرَ العُمـرِ أعيـــدُه وأنـــا فـــي حـــالٍ مُنبهـــرِ
كمـــا تُفلِّـــي عجـــوزٌ فـــي قماطرِهـــا مـا ظلَّ من عرسِها في منطوى الصُرَر
تعـيشُ فـي كـلِّ شـيءٍ مـن حوائجِهـا مـا فـات مـن عمرها فـي آخـرِ العُمـرِ[٢٧]

وهذا أحد أوجه معاناة المرء وقت المشيب، فإذا ما اشتاق إلى أيام الشباب والتصابي، ثمة من يردعه ويعنفه إذ لا يجوز له في ذلك، إذ أنقضى عهده فيُلائم الرجل أن يتصنع بما ليس له، ولعل تعنيف الرجل لنفسه أشد وأقسى وقعاً عليه من تعنيف الآخرين، فهو يعاتب الزمان ويلقي عليه اللوم لِما جرى من أمر بلاء جسده وهو يحفزنا للانتباه المطلوب له فقد فعل الزمان بجسده ما فعل، وأفقده قوته وأبدل خلقه، وكأنه تسلل إلى جسده خلسة فأماته عضواً تلو الآخر، فشوقه إلى أيام صباه في أواخر عمره جسّده بصورة جميلة جدا، فهو كذكريات العروس التي احتفظت بها المرأة العجوز، التي تحاول أن تستعيدها بين فترة وأخرى من خلال تفتيشها لحاجياتها، فكل شيء فيهن يذكرها بفترة جميلة انطوت ورحلت ورحل كل شيء جميل معها، وهذا ما شاهدناه في النص. لكن تبقى المرأة العنصر المؤثر في الرجل يجتذبه ابتغاء اللهو والعبث في المرحلة الأخيرة من عمره.

ثانياً: دوافع خارجية:

إنَّ الاحساس بالفقر من أهم البواعث والمظاهر التي تدخل في صميم الانفعال لدى الشاعر، وتعدُّ عنصرا حيويا في تجربته، لأن الفقر والجوع من الأبواب التي تؤدي إلى الموت، فهو يهدد الحياة مباشرة بالذبول والتلاشي في نهاية المطاف، وعليه، نجد الشاعر أثناء تعرضه لتجربة الفقر وما يتصل بها من معاناة وجوع وحاجة، يُعبّر عنها في صور تحمل معاني الموت، وتشيء بالإحساس به، كذلك توحى بمدى احساس الشاعر بخطورته، هذا فضلا عن إنه تهديد لكيانه ووضعه الاجتماعي، لما يسببه من مذلة ومهانة، ومما لاشك فيه أن هم الفقر من اخطر الهموم المدمرة للإنسان التي تشيع في روحه اليأس والجزع، وهكذا يكون الفقر في واقعه المادي والاجتماعي والنفسي، أحد بواعث الموت في حياة الإنسان، بل يكون في تعبيره الشعري أحيانا يفوق احساس الشاعر، بحيث يصبح الموت لديه خيرا من حياة الفقر[٢٨]:

أنــتَ غريــبٌ هنــا.. وتبحــثُ عــن وســـادةٍ ينتهـــي بهـــا الســـفرُ
وأننـــي مثلُـــكَ امـــرؤٌ تَعِـــبُ قـــد نـــالَ مِنِّـــي العيـــاءُ والكبـــرُ
أبحـــثُ عـــن ملجـــأٍ ألـــوذُ بـــهِ فهـــا هنـــا عَـــالمٌ ســـينفجرُ
أحمـــلُ ســـتينَ نصـــفُها علـــلُ وللأعاليـــلِ نصـــفُها الأخـــرُ

يحاول الشاعر الهروب من واقعه المأساوي لما يحمل من هموم وضغوطات الفقر والعوز، وهو هروب ليس بالمعنى الحقيقي، وإنّما بمعناه المجازي، هو هروب من الحقيقة إلى الوهم، فالشاعر هنا يحاول أن يهرب من أفكاره السوداوية التي يغلفها الإحساس بقرب الأجل وحتميته، وعندما يهرب المرء من واقعه الذي يقلقه ويهدده؛ فأنه يحرص على أن يلجأ إلى مكان وملاذ يشعر فيه بالأمان ويريحه من عناء التفكير بالموت. يصور الشاعر هذا المشهد على شكل محاورة بينه وبين إنسان آخر غريب يكاد يحمل المعاناة والهموم نفسها:

فأمســـك بكفـــيَّ تلـــك عاصـــفة ســـننتهي عبرهـــا وننـــدحرُ
هـــذا الزقـــاقُ القـــديم أعرفـــهُ أذكـــرهُ حـــين يُـــذكرُ الصِـــغَرُ
عشـتُ صـبياً بـه .. وعشـتُ فتـىً ولـــم يـــزلْ للصـــبا بـــهِ أثـــرُ
هنـــاك بيـــتٌ يحيـــا بـــلا قـــدرِ قـــد كـــان لـــي فـــي زمانـــهِ قـــدرُ
باحتـــهُ الآن لا ســـقوفَ لهـــا واعتصـــرتْ بالرطوبـــةِ الجُـــدُرُ
ولـــم يعـــدْ مـــن طلائِهـــا أثـــرُ قـــد نسـيتْ لـــونَ صِـــبغها الحُجـــرُ
تعـــالَ نقضـــي هنـــاك ليلتنـــا فعـن قليـلٍ سـوفَ يهطـلُ المطـرُ[٢٩]

فهذا الموقف الانفعالي، الذي عبّر به الشاعر عن مدى معاناته من الموت الماثل أمامه والمتمثل في هذه المنازل الخالية والخاوية والرطبة، ورغبته في أن تنزاح عن ناظره وذاكرته، فهو في الوقت نفسه تعبير عن مدى اليأس والاستسلام والقنوط الذي استبد به من هذه المنازل، فهي ليست

سوى مسرح لعلميات الموت المستمر الذي عبّر عنه بالعاصفة التي ستنهي حياتهما، مما تبعث على البكاء والألم. إنّ صورة المكان القديمة لم تزل باقية في ذهن الشاعر يتذكرها كما هي، ولكنه يراها في الواقع بقايا مؤلمة له، فلم يبق من طلله غير معالم باهتة تُعبّر عن سطوة الزمن وجبروته، فلم يعد من هذه الديار غير بقايا جدران رطبة فعل بها الزمن ما فعل، فلا حياة فيها ولا أنيس. وما أطلال هذه الديار إلا جزء من الماضي والماضي هو جزء من الزمن، يأسى المرء على فقده، ولكن ألا تدلُّ هذه الديار بأطلالها وبقايا جدرانها على أن الحياة كانت هنا وانتهت، وما هذه الآثار إلا دليل عليها؟ فهذه البقايا تمثل مظهراً من مظاهر الصراع الذي حدث بين الإنسان والموت، الذي خرج به الأخير منتصراً، ولكن ترك آثار الإنسان لتخلد ذكراه، ولتبين قدرة الموت على انتزاع وسلب الحياة.

دُنيـاً مـن الزيـفِ كمـا ضـاقَ بـي ... يومـاً هواهـا ضـاقَ بـي مَقتُهـا
صـحبتُها عُمـراً.. وكانـت هـوىً ... مُحببـاً لـي وتعشـقتُها
مشـنقةٌ عَلَّقـتُ نفسـي بهـا ... مُخيَّـراً حـين تعلَّقتُهـا[٣٠]

يبتغي الشاعر من هذا الوصف أن يعطي صورة واضحة عن حقيقة الحياة، وما تحمله من جفاء وقسوة، فهي عبارة عن زيف ووهم من الآمال تضيق بالمرء شيئا فشيئا، حتى أصبحت كالمشنقة لا يستطيع التخلص منها، فهو يرى أنّ الحياة دار غرور ومتاع وكل ما فيها ماضٍ الى الفناء.

مع إدراك الإنسان بصورة عامة والشاعر بصورة خاصة لحتمية الموت، وحقيقة أنه صائر إليه لا محالة، تتبلور مواقف عنده، قد تبدو في الوهلة الأولى متناقضة، لكنها تلتقي بالإحساس نفسه، وهو الاحساس في الفجيعة، وجاء هذا التناقض بين اقبال بعض الشعراء على الحياة، وذم البعض الآخر لها، بل وزهدوا بها، لكن في النهاية نجد التوحد في الوعي على الرغم من تنوع الرؤى، فلا يوجد إنسان ينفي الموت أو ينكر فجيعته وسطوته المؤلمة[٣١]:

تعوض الدنيا .. وما يسلب الـ موت فلا تعويض عن خسره
كم من حبيبٍ من أحبائنا كان كحلم الصبح في خطره
مرَّ وما أبقى بأعماقنا غير الأسى المشوب من ذكره

لذلك تنمو في دواخل الشاعر أحاسيس لاعجة بالحزن، وأكثر ما تظهر في مواقف (الرثاء) عندما يفجع بأحبة له، فينقل تلك الاحاسيس معبراً عنها بكلِّ صدق وحرارة وتتخللها الحكمة والخوف، فضلاً عن الرثاء الذي يغطي الموقف، هو في الوقت نفسه استلهام ذاتي لمصيبة الموت وإن أصاب الآخرين من الأقربين أو البعيدين، وكأنما يرثى الشاعر نفسه، أو يرثي البشرية كلها، فما يسلبه الموت لا يُعوض، بل تبقى ذكراه تحمل أسىً وجرحاً غائراً في أعماق محبيه. فالفراق يسلب الشاعر وجوده وما يعزز قدرته وحياته، والموت الحقيقي بالنسبة له خير من موت المشاعر واللذة وفراق رموز الحياة الذي يتمثل بالأهل والأحبة، فكلما كان الفقيد قريباً إلى ذات الشاعر؛ تأثرت وتأججت مشاعره أكثر، وربما يدعو الآخرين إلى مشاركته أحزانه عسى أن يخفف ذلك من وطأته. ويبقى السؤال الذي حيّر شاعرنا بل حيّر الكثير[٣٢]:

نأتي ونرحل.. دون مغزى في قدومٍ .. وأرتحالِ
أبدا تُغيّرنا يدُ الـ مجهولِ من حالٍ لحالِ
تلهو بنا لهو الصغار على الشواطئ بالرمالِ

ما المغزى من قدوما لهذه الدنيا ومن ثم ترحالنا عنها؟ وما الحكمة في ذلك؟ وكأن هناك يد مجهولة تغير وتبدل وتلهو بنا، فأحوالنا متغيرة ليست ثابتة. يرسم الشاعر هنا صورة لواقعنا ولحياتنا من أول الأمر إلى نهايته، فهي كالبيوت التي يصنعها الصغار من الرمال على الشواطئ، سرعان ما لبثت وانهارت بسبب مياه الشاطئ، كذلك هو الموت الذي ينهي كل شيء.

ثمة بواعث أو دوافع خارجية أخرى لثنائية الحياة والموت، أكثرها شيوعاً هو الزمن وما يحمل من وجه غادر، فهو بلا وفاء ولا عهد له، وجهه مخادع، هو مساعد وحليف للموت. ومن هنا تكمن المفارقة التي يكتنزها الشاعر في صدره أو يظهرها في أشعاره، فلا زمن من دون شعور بالحياة بشكل متدرج من حيث العمر: طفولة، فصباً، فشباباً، فشيبا، ومن حيث أوقات النهار يتدرج في صورة: الفجر، فصبحاً، فضحى، وظهيرة، فعصراً، فمغربا، ومن حيث التغير في الفصول: ربيعا، صيفا، خريفا، شتاءً[٣٣]:

وهــبَ الصــبا مــذ كــان زهــوا	**تُغــرى القلــوب بــه وتُغــوى**
دنيـــــاكَ قـــــد جربتُهـــــا	**أبليتُهـــــا كــــدرًا وصـــــفوا**
وأردتُ منهـــــا فـــــوقَ طــــا	**قتهــــا .. ولكــــن دونَ جــــدوى**
والآن تشـــــكو فـــــي تــــوا	**ليهـــا ولـــم تنفعْـــك شـــكوى**
يــا مرهــقَ الخطــواتِ .. ينهــبُ	**دربـــــهُ خطـــــوًا فخطـــــوا**
قايضـــــته لـــــو فـــــي يـــديّك	**العمـــرُ.. لـــو شـــروى بشـــروى**
وفــــديتُ بالشــــيبِ الصــــبا	**لــو كــان فــي الأيــام فــدوى**

وإذا ما اكتمل هذا الوعي في النفس واشتدت قيمته، تحضر الحقيقة المُرة، هي أنَّ الزمن يسير باتجاه الموت بل يقود البشرية أو يسوقها نحو الموت، وعليه، ينصدم القلب المرهف – خاصة الشاعر– وينصدع ويأخذ اللسان بذم الحياة والزمن والدهر، لابساً إياها الكثير من النعوت، فيصفها بالخسة، والغدر، والخيانة وما إلى ذلك من الصفات المذمومة.

إنَّ احساس الشاعر بالحاضر قائم على الانتباه لهذا الوجود والشعور به، فالشاعر لا يحس بالماضي إلا من خلال الذكرى الجميلة المشرقة، وعليه، فإنّ النماذج الشعرية المختارة التي وظفها

الشاعر لتعبر عن هذه الجدلية – الحياة والموت– هي تدل أيضاً على أنه لا ينتبه لحاضره ولا يشعر به إلا عندما يكون في حالة أليمة وفي واقعة غير سارة [٣٤]، وهذا ما نجده في كثير من قصائد قيس لفتة[٣٥]:

بكى الشاعرُ المسكينُ من كلِّ قلبهِ وصاحَ.. حرامٌ أن أعيشَ هنا وحدي
وهبتهم أمسي وما ضمَّ من رؤى فما قيمةُ اليوم الذي ينتهي بعدي
غداً يلعبُ الأطفالُ .. أطفالُ بلدتي وتهفو صباياها إلى العطرِ والوردِ
غداً.. يستريحُ الفجرُ في كلِّ شرفةٍ ليهديَ إلى عشاقهِ خيرَ ما يهدي
أ أحرمُ قومي من هباتِ وجوههم لأني حرمتُ التافهَ القدرِ من حمدي؟
إلى النارِ يا شعري.. إلى النارِ يا فمي إلى النارِ يا ذكري.. إلى النارِ يا مجدي

وهذا تعبير عن حالة إنسانية يتبناها الشاعر نفسه؛ لأنه أكثر ما يكون احساسنا بالزمان في نوبات الحزن البطيئة سواء تأتت عن ضجر، أو شك أو قلق أو هم أو يأس أو بغض، أو أي نوع من العذاب يحمل علته في ذاته، ولا ينتج عن سبب خارجي، بل عن المعاناة الجذرية للشروط الأساسية التي يرتكز عليها الوجود البشري بما هو كذلك، ذلك الوجود الذي يقوم أصلاً على خلفية من العدم فغريزة المحافظة على الذات تعمل على الوجه التالي أتألم عندما أشعر بالفناء، أفرح عندما أشعر بالبقاء، وهكذا الحال بالنسبة للزمن يفرض كثافة نفسه عبر مراحل الحزن، ويفقد كل وزن وكيان في فترات السرور[٣٦]. وقد جاء النص الشعري عاكسا ومصورا هذه الحقيقة ومسجلا لحظات انتباه الشاعر لحاضره، وما يحمل من حزن مُسيّطر على كيانه وذاته، ومنتفضا على ماضيه من أجل حاضره، ليس حاضره هو بالذات بقدر ما هو حاضر مَن حوله مِن قومه،

مؤثراً على نفسه بما لديها من ماضٍ، ومتخلياً عمّا يحمل من ذكرى ومجد في سبيل حاضر قومه وأبناء جلدته.

مـــا قصـــرتْ أعمارنـــا أســـقامنا بـــل قصّـــر الأعمـــار عـــبٌ مجهـــد
هـــذا زمـــان يُحســـد المـــوتى بـــه حتـــى كـــأن المـــوت نعمـــة تُحســـد
ونـــودُ لـــو كنـــا بـــه كوليـــدةٍ في الجاهلية .. حين تولد توأد(٣٧)

لكل إنسان أجل معلوم، وهو كالذي يقترض لحياته أياماً لا يعلم عددها، وإنّ عليه سدادها مع اقتراب ذلك الأجل، وليس له أن يتأخر عن ذلك التسديد. وما دام الامر بهذه الصورة فإن الناس يعوّن جيداً أنَّ لا خلاص من هذا المصير المحتوم. فالحياة منتهية والعمر ينقضي، وقد يشكل هذا الاحساس ضغطاً نفسياً قوياً على بعضهم، ممّا يجعلهم ينطوون ويستسلمون بشكل كامل لليأس، إذ لا ليس هنالك أمل في النجاة من تلك الحتمية ولا يجدي الحذر منها شيئاً، فاليأس حليف الحزن، وهو يصف الموت بأنّه نعمة يُحسد عليها، ويتمنى لو كان وليدة في عصر الجاهلية حتى يوأد، وما هذا الشعور الذي وظفه الشاعر إلا نتيجة لإحساسه باليأس الشديد.

ولم يعبأ الشاعر بأمر الحياة الدنيا فيصفها بمحطة للقاء ومن ثم الوداع ومنحنا من خلال ذلك نصيحة لتمتيع أنفسنا بما تشتهي، ففي كل الأحول نهاية الإنسان سائرة نحو الموت، فهو ينصح المرء قبل الوداع بأن يعطي نفسه ما تشتهي ويحقق لها ما تتمنى(٣٨):

تمتـــع واعـــطِ نفســـك مشـــتهاها فمـــا تـــدري متـــى هـــو منتهاهـــا
تقـــول غـــدا لنفســـك كـــم ليـــالٍ غفـــوا فيهـــا ومـــا عاشـــوا ضـــحاها
تمتـــع واعـــطِ نفســـك مشـــتهاها وحقـــق مـــا اســـتطعت لهـــا مناهـــا
فكـــم مـــن مشـــتهٍ حاجـــات نفـــسٍ لـــو كـــان القـــوي لمـــا اشـــتهاها

وغيّـــر مـــن حياتـــك فالعشـــايا تغيـــر كـــل أمســـيةٍ رؤاهـــا

يتصارع في نصوص قيس لفتة مراد صوتان، الأول هو صوته الفردي، الذي هو تعبيره عن نوازعه، وما يختلجه من هموم، وعن قضيته هو، فيعطي مواقفه تبعاً لاتصالها بذاته، فموت الآخرين بالنسبة له غامض ان لم يشعر بتهديده، وبهذا قد يتعالى على الموت أو ينساه إلى حين، أو قد يعيش فيه ويروّض قناعاته بأنه ليس سوى درب يقود إلى عالم آخر، هو الخلود الذي بعد الموت. فمع صوت الشاعر الفردي تغدو ثنائية الحياة والموت قضية ذاتية لا موضوعية، بل مع الصوت الفردي يتحرر الشاعر من قيود كثيرة من الموروث والأخلاق.

أما الصوت الثاني، فهو الصوت الجمعي، فالشاعر فيه يكرّس الموروث والأخلاق وينزع إلى أن يتعامل مع هذه القضية الحياة والموت تعاملاً موضوعياً، فهو يخفي ذاته، إذ أنه لا يظهر قسمات وجهه بالقدر الذي يجهد إلى منح التعابير التي ترضي الآخرين[٣٩]:

غيـر أنَّ الإنسـانَ إذ يـذكرُ المـوتَ يعـــاني مـــن خيبـــةِ الإنســـان
الســـؤالُ اللغـــزُ الـــذي يتســـاوى عنـــدَ أعتـــابِ بابـــهِ الـــثقلان
خلـفَ هـذا الوجـودِ هـل مـن وجـود ووراء الكيـــانِ هـــل مـــن كيـــان

إنَّ مفردتا الحياة والموت تعبران عن معنىً مشترك، أو نستطيع القول إنهما نمطان لحالة واحدة، بمعنى أنَّ كلّ واحدة فيهما لا يكتمل معناها إلا بذكر الثانية، فكلٌ منهما بحاجة إلى الأخرى، فهما على الرغم من تضادهما في المعنى متساويتان في الاصطلاح[٤٠]. ففي نهاية المطاف يقف الإنسان أمامهما – الحياة والموت – خائباً مستسلماً، لا يعرف مصيره بعد هذه الحتمية، إذ أثارت هذه الفكرة مشاعر الخوف لدى الإنسان وما يؤول إليه مصيره بعد هلاكه، ويصبح أمام سؤال ليس له جواب أو تفسير، سؤال حيّر البشرية والأمم السالفة: خلف هذا الوجود هل من وجود؟

الخاتمة:

إنَّ الموت حقيقة لا ينكرها أحد، وهو يدرك كل كائن حي على وجه الأرض لا يستثني أحداً، فهو مصير واقع، وهو النهاية الحتمية لحياة البشرية جمعاء. فحياة البشر قائمة على هذه الجدلية أو الثنائية (الحياة والموت)، ويمكن أن نستمد أعمق دلالات ذلك من القرآن الكريم في قوله تعالى: ((أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة))،(النساء / ٧٨). ، وقوله تعالى:((كل نفس ذائقة الموت))،(آل عمران / ١٨٥).

وقف الإنسان العادي أمام هذه القضية، قضية (الحياة والموت) مذهولاً ليس له سوى الصمت أو البكاء، أما الشاعر بما يحمل من إحساس مرهف ومشاعر جياشة، استطاع أن يترجم انفعالاته وأحزانه واحاسيسه بكلمات معبرة، فصوّر هذا الصراع وهذا الجدلية القائمة بين الحياة والموت. فنجد شاعرنا قيس لفتة مراد قد جسَّد هذه الثنائية أو الجدلية خير تجسيد في تجربته الشعرية، فما هي إلا تعبير عن واقعه وانعكاس لحالته الشعورية والنفسية والاجتماعية، وبالتالي هي شعور بالخوف من النهائية المبهمة والحتمية، وهو في الوقت نفسه رثاء لذاته، وهذا التجسيد جاء نتيجة لبواعث أو دوافع عدة، منها داخلية تمثلت بالاغتراب، والشيخوخة، وذكريات الصبا، ومنها خارجية تمثلت بالفقر، وضغوطات الزمن، واليأس، الحزن. فقد شكلت هذه القضية ثيمة أساسية في شعره.

الهوامش:

(١) سنن ابن ماجة، أبو عبد الله بن محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د. ت): ١٣٧٦/٢.

(٢) ينظر: الموت والعبقرية، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، بيروت، ط٢، ١٩٦٢ : ٥-٦ .

[٣] قلق الموت، احمد محمد عبد الخالق، سلسلة عالم المعرفة، مصر، ١٩٨٧ : ١٣ .

[٤] الحياة والموت في شعر السياب، صالح علي حسين، مجلة كلية المعلمين، السنة السادسة، ع١٧، ١٩٩٩: ١١٧ .

[٥] ملحمة كلكامش، طه باقر، دار الوراق للنشر، عمان، ٢٠٠٦ : ٩٧ .

[٦] ينظر: م. ن : ٩٧ .

[٧] ديوان "العودة إلى مدينة الطفولة"، قيس لفتة مراد، الشركة العراقية للطباعة، بغداد، ١٩٨٧، ص:٥٢.

[٨] الأخلاق في الفكر العراقي القديم، حسن فاضل جواد، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٩٩، ص٤٨ .

[٩] ينظر: لحظة الأبدية، سمير الحاج شاهين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٠ :٢٧٦- ٢٧٧ .

[١٠] ينظر: م. ن : ٨ .

[١١] ينظر : الحياة والموت في الشعر الاموي ، محمد بن حسن الزين : ٢٧٠-٢٧١ .

[١٢] ينظر: بنية القصيدة العربية المعاصرة المتكاملة، خليل موسى، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣، ص:١٤٧.

[١٣] ينظر: أساليب الشعرية المعاصرة، صلاح فضل، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٥، ص:١٦٤.

[١٤] ديوان "أحلام الهزيع الأخير"، قيس لفتة مراد، مطبعة الميناء، بغداد، ١٩٩٢، ص٣.

[١٥] ديوان "من شعر قيس لفتة مراد"، ص: ١١.

[١٦] ديوان ""من شعر قيس لفتة مراد"، ص: ٢٤.

[١٧] الموت والعبقرية : ٥ .

[١٨] ينظر: الاغتراب ، احمد ابو زايد ، مجلة عالم الفكر ، مجلد١٠ ، ع١ ، لسنة ١٩٧٩ : ٥ .

[١٩] الحياة والموت في الشعر الاموي : ٣٤٥ .

[٢٠] ديوان "أحلام الهزيع الأخير" ، ص٢٢ .

[٢١] ينظر: مشكلة الحياة ، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٦٣، : ١٨٧ .

[٢٢] ديوان "من شعر قيس لفتة مراد"، ص: ٣٧.

[٢٣] ديوان "من شعر قيس لفتة مراد"، ص: ٣٨.

[٢٤] ديوان "العودة إلى مدينة الطفولة"، ص:٤٣.

[٢٥] ديوان "أحلام الهزيع الأخير"،ص:١٨٤.

[٢٦] ديوان "أحلام الهزيع الأخير"، ص:١٢٩.

[٢٧] ديوان " "من شعر قيس لفتة مراد"، ص: ٤١.

(٢٨) ديوان " من شعر قيس لفتة" ، قيس لفتة مراد، المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٩١، ص:٢٦.

(٢٩) ديوان " من شعر قيس لفتة"، ص:٢٦.

(٣٠) ديوان " من شعر قيس لفتة" ، ص:٣٢.

(٣١) ديوان "أحلام الهزيع الأخير"، ص: ٧١

(٣٢) ديوان "أحلام الهزيع الأخير"، ص: ٩٤.

(٣٣) ديوان "أحلام الهزيع الأخير"، ص: ٧٧

(٣٤) ينظر : الحياة والموت في الشعر الاموي : ٢٥٣ .

(٣٥) ديوان " العودة الى مدينة الطفولة"، ص:٦٢.

(٣٦) ينظر: لحظة الابدية : ٥ –٦ .

(٣٧) ديوان "أحلام الهزيع الأخير"، ص:١٢٨.

(٣٨) ديوان "أحلام الهزيع الأخير"، ص: ١٧٠.

(٣٩) ديوان "أحلام الهزيع الأخير"، ص: ٤٠

(٤٠) ينظر: الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، نضال الزبيدي، دار الينابيع، ٢٠١٠، ص:٢١.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- "أحلام الهزيع الأخير" ديوان، قيس لفتة مراد، مطبعة الميناء، بغداد، ١٩٩٢.
- أخلاق في الفكر العراقي القديم، حسن فاضل جواد، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٩٩.
- أساليب الشعرية المعاصرة، صلاح فضل، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٥.
- اغتراب ، احمد ابو زايد ، مجلة عالم الفكر ، مجلد١٠ ، ع١ ، لسنة ١٩٧٩.
- بنية القصيدة العربية المعاصرة المتكاملة، خليل موسى، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.

- ثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، نضال الزبيدي، دار الينابيع، ٢٠١٠.
- حياة والموت في شعر السياب، صالح علي حسين، مجلة كلية المعلمين، السنة السادسة، ع١٧، ١٩٩٩.
- سنن ابن ماجة، أبو عبد الله بن محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د. ت): ج٢.
- "العودة إلى مدينة الطفولة" ديوان شعر، قيس لفتة مراد، الشركة العراقية للطباعة، بغداد، ١٩٨٧.
- قلق الموت، احمد محمد عبد الخالق، سلسلة عالم المعرفة، مصر، ١٩٨٧.
- لحظة الأبدية، سمير الحاج شاهين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٠.
- مشكلة الحياة ، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٦٣.
- ملحمة كلكامش، طه باقر، دار الوراق للنشر، عمان، ٢٠٠٦.
- من شعر قيس لفتة" ديوان شعر، قيس لفتة مراد، المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٩١.
- موت والعبقرية، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، بيروت، ط٢، ١٩٦٢.

"